العاشق الّذي جاء فيما بعد ..

الهه بهشتي

بسم الله الرحمن الرحيم

(1)

أدعى الميرزا حسين و أعمل في التدوين ..

قبل أربعة عشر شهر أبتليتُ بمرض عضال أجهدني و أجهد الأطباء فتوسلت بآل البيت (ع) و عاهدتهم أن أكتب أربعة عشر قصة تتعلق بهم خلال أربعة عشر شهر .

تمكنت من إنهاء ثلاثة عشر منها و لكن القصة التي كانت تخص بصاحب العصر و الزمان (عج) أعجزتني ، كدت أن أفقد ألامل مع إقتراب نهاية الشهر حتى دُعيت إلى مجلس مّا ، و رغم عدم ميلي للذهاب تحاملت على نفسي و ذهبت إلى هناك لأسمع حكاية فريدة من نوعها حول شخص يدعى محمود الفارسي .

لم أتمالك نفسي و قصدته – محمود الفارسي – في نفس اليوم رغم تسويف صديقي بأن نؤجل الذهاب إلى الغد .

حين وصلنا الدار دخلنا إلى غرفة صغيرة ، ذات بساطة محببة ، و وجدنا فيها شخصاً يقرأ القرآن مرتدياً قباءً أبيضاً و لديه محاسن سوداء ، إبتسم و نهض للسلام ، كان في عينيه الكثير من العمق حتى أنني كنت أتحاشى النظر إليه بشكل مباشر، أخبره صديقي عن سبب مجيئنا و عن رغبتي في سماع التفاصيل ، تردد قليلاً لكن إصراري حسم هذا الأمر ، تبسم و بدأ يحكي :

(2)

كان ميلادي في قرية قريبة من الحلة – منطقة أهل السنة – و هناك ترعرعت و كان صباي ..

ولأن قريتنا كانت نائية و قريبة من الصحراء فإننا (نحن الصغار) كنا نكسب بعض النقود بأن نذهب إلى أطراف الطريق لندلّ القوافل على وجود خان للإستراحة في قريتنا .

ذات يوم سمعت من أحدهم أن هناك قافلة كبيرة قادمة عند منتصف النهار ، هرعت أخبر أحمد و تمكنت بعد كثير من المحاولة إقناعه بعدم إخبار بقية الصبية .

خرجنا من القرية باكراً دون أن نحمل معنا أي زاد ..

كانت الصحراء واسعة و خالية و مع ارتفاع الشمس بدأت حرارة الجو ترتفع لكنّا رغم ذلك قطعنا أميالا بحثاً عن القافلة ، مضت الساعات و لا اثر لها ، اشتد الحر و كانت الشمس تتوسط السماء ملتهبة متقدة ، سألني احمد و هو يجفف عرقه إن كنت على يقين من الخبر فكان ردي بالايجاب ، تسائل : ماذا يمكننا عمله الان ؟

أشرت إلى أبعد تل: فلنذهب الى هناك فإن لم نعثر على أحد نعود .

ظهر الاستياء على وجهه و هو يقول : نعود ؟! لم أقطع كل هذه المسافة لأعود خالي الوفاض !

حين وصلنا إلى التل كنّا على وشك الهلاك ، لم يعد بإمكان أحمد المشي فبدأ يجر رجليه جراً قد أحمر وجهه و تدلى لسانه و لم أكن في حال أفضل منه .

مع إرتفاع الشمس تحولت أشعتها الى حمم تنصب على رؤسنا فغارت عيوننا و أصبحت الرؤية صعبة و الأدهى أننا حين صعدنا التل لم نجد سوى صحراء ممتدة ، لا أثر لقافلة و لا لإنسان و لا لأي شي يتحرك في ذلك السكون !!

هنالك حدث الشجار و احتد حتى إشتبكنا ، تدحرجنا معاً إلى اسفل التل ، إصطدم رأسي بشيءٍ و غبتُ عن الوعي !

حين استعدت وعي كنتُ محمولاً ، أحمد يمضي بخطى ثقيلة منهكة و قد أردفني خلفه ، أردت ان أبقى مرتاحاً على كتفيه غير أنّ أنفاسه المثقلة آلمتني فتحركت ، توقف بلهفة و أنزلني ليسألني بوجنات محترقة و شفاه ذابلة لكن بابتسامة : هل أنت بخير؟

إستلقيت على ظهري ، كان لساني كالخشبة اليابسة .

قال لي : لا بأس ، تحمل قليلاً ..

سرح بي الخيال إلى حال أهلي ، رأيت نفسي ميتاً و سمعت بكاء أمي و نحيب أبي ، و لكن .. هل سيتم العثور على جسدي ؟

خوف مهول جثم على قلبي هل من الممكن أن لا يحدث ذلك ؟! الذئاب ! ماذا لو عثر علينا الذئاب و التهمونا أحياء ؟! كان تصور ذلك مرعباً إلى درجة أنني تشبثت بيد أحمد لا إراديّاً ، نظراته كانت تعني أنه أدرك ما بي فقال : لا تخف سنصل الى مكان ما .

قلت : ليتنا نموت سريعا ! عض على شفتيه كان يريد أن لا يبكي ، خبأ وجهه بين كفيه و قال: فلنتوسل .

قلت : نتوسل ؟ لقد إنتهى الأمر !

قال : لا تيأس إن الله أرحم الراحمين يغيث عباده .

أغمضت عيني و أنا أفكر إن كان الله سيستجيب لأحمد فسأنجو أنا أيضا ..

بدأ أحمد بالبكاء : يا رب ، يا إلهي .. أقسم عليك بعزة رسول الله أن تنجينا .

تتابعت آهات أحمد و توسلاته الحارقة ، و كان ينطق باسم رسول الله بحرارة تدمي القلب .. تسائلت هل ستصل استغاثته الى عرش الله ؟؟

اشتدت قسوة الشمس حتى اصبح المكان جحيماً لا يطاق ، تمنيت لو يجيء الليل باكراً لنموت في حرارة أقل ، بعد كثير من البكاء و التوسل إنهار أحمد !

يا لها من حياة قصيرة إنها فقط ثلاثة عشر عاما ، فكرت ليتني كنت أكثر إيماناً ، ليتني لم أصل إلى سن التكليف ، تذكرت أسرتي و لف الوجع روحي فوالدي المتدين – إلى درجة التعصب – كان مهملاً في تعليمي الأمور الدينية ، إذ كلما سألته عن خلل في صلاتي أو مسألة مّا ، كان يؤجل ذلك إلى حين آخر و يقول أن هناك الكثير من الوقت .

إنني أدرك الآن كم هي سيئة علاقتي مع الله ، إذن فكيف سيغيثني ؟! هكذا تساءلت و هتفت في أعماقي يا الله العفو .. العفو ...

فجأة تراءى لي سوادين من بعيد ، ضيقت عينيي لأدقق النظر، لا يبدو الأمر سراباً ، إنهما شخصان يتقدمان باتجاهنا ، لابد أن أخبر أحمد فإن كان هو أيضاً يراهما فهما واقعيان و سننجو ، ناديت أحمد لكن صوتي إختنق في حنجرتي اليابسة ، لعله غاب عن الوعي ، مددت يدي لأهزه لكني تجمدت! حية سوداء ضخمة كانت تلتف حول قدم أحمد و تزحف إلى رقبته ، لم يكن بإمكاني فعل أي شيء تدحرجت قليلا و ضربت على الرمال بقبضتي لكن أحمد لم يتحرك ، زحفت الحية الى صدره ، بيد مرتجفة لمست أصابعه فتحرك و فتح عينه و كانت الحية حينها قد وصلت الى رأسه !

كان يبدو أن كل شيء سينتهي الآن لكن فجأة سقط ظلّ مّا على الحية فأدارت رأسها ، و رويداً رويداً إنسحبت و ولّت بعيداً !

تنفست الصعداء ، كان أحمد يتعرق مغمضاً عينيه ، ضغطت على أصابعه و أنتبهت للتو للفارسين اللذين سقط ظلهما علينا !

أحدهما كان أبيض الرداء يعلو صهوة جواد أبيض و الآخر كان يرتدي ملابس خضراء و يمسك رمحاً على فرس غامق اللون .

ترجل الرجلان ، مدّ الرجل ذو الرداء الأبيض بساطاً قريباً منا و الاخر ألقى طرف عمامته على كتفه و جلس يتطلع إلينا ..

كنت في حالة غيبوبة ، لم أكن أستطيع النظر لكن كان بإمكاني أن أسمع تمتمة أحمد (لقد نجونا) ، رفعت رأسي بصعوبة ، كان الرجل ذو الرداء الأبيض شاباً يبتسم كاشفاً عن مَبسم منير و هو يقول بصوت عميق :" أي نداء ناديتم ، ارتجت السماء و الأرض لوقع نداءكم لرسول الله (ص) "

قال أحمد : لم يكن صوتنا عالياً !

قال الشاب :" بل كان عالياً و مليئاً بالحسرة " ثمّ أشار إليه : " تعال إلى هنا يا أحمد ابن ياسر "

تأتأ أحمد : نـ ... نـعم حـ حسناً و قال بصوت منخفض : لا شك أنه ملك الموت هذا الذي يعرف إسمي!

إتسعت حدقتاي و تذكرت هروب الحية فتأوهت : لا تذهب !

لكن الشاب قال :" لا تخف إريد بك خيراً لا شراً .. تعال "

قال أحمد بضعف : لكنني لا أستطيع ..

أجابه الرجل :" إنك تستطيع "

كان صوته يموج بالحنان و السكينة ، شعرت أنه لو طلب الروح فسأقدمها إليه .

زحف إليه أحمد ، مسح الرجل على رأسه و كتفه و ظهره و قال :" قُم "

جلس أحمد بهدوء واستقام ظهره تلاشى خوفي حينها فأي ملك للموت هذا الذي يهب الحياة ؟!

ناداني : " محمود "

حبوت إليه .. أغمضت عينيه و أنا أشعر بموجة الحياة تسري في كل عضو من أعضائي و تملئني بطاقةً عجيبة .. قال :" و الآن قُم "

إستغرقت في ملامحه : بشرة حنطية بوجنات مشعة ، شعره و محاسنه السوادء جعلت إشراقة وجهه تتضاعف ، كان يملك حاجين متصلين و عيون سوداء نافذة عميقة الى درجة أنني لم أستطع التحديق إليها و لا الإنصراف عنها !

و كانت على خده حبة خال سوداء ليس لها شبيه !

أمرني أن أجلب بعض الحنظل ، أخذها مني و أدارها في يده ثمّ قسمها نصفين و قدّم إحدها إليّ قائلاً : "كُل " ، و لأنني أعرف مرارته الشديدة ترددت : و لكن .!.

قال بلهجة آمرة : : "كُل "

كان الحنظل عسلاً ! لاأذكر أنني قد ذقت فاكهة بهذه اللذة و الحلاوة من قبل ، حتى أنني أكلت النصف الآخر ، و حدث ذلك مع أحمد ..

سألنا : "هل شبعتم ؟ "

فأجاب أحمد : تماماً .. شكراً لك .

قام الرجل بهدوء و وقار قائلاً : " سأعود غداً في مثل هذا الوقت " ، إعتلى جواده بعد أن أعطى الرجل الآخر رمحه ، هرعت إليه ، أمسكت بطرف رداءه متوسلاً : بحق من تحب ، خذنا إلى قريتنا ، و أضاف أحمد : دلنا على الطريق ، والدينا سيموتان حزناً علينا .

مسح على رأسي : "ستذهبان في الوقت المناسب "

رسم حولنا دائرة برمحه و وكز جواده ليمضي ، ركض أحمد خلفه صائحاً : سيدي ، لا تتركنا لوحدنا ستلتهمنا الكواسر ! إرتجف قلبي إن هذا أسوء من الموت عطشاً !

حاولت مرة أخرى أن أمسك بطرف رداءه و أتوسل ، لكن نظرته النافذة سمّرتنا ، قال : "ستكونون بأمان داخل الدائرة "

تعجبت كيف تجتمع فيه الرحمة و الصرامة ؟!

جلست لألمس حدود الدائرة ، تذكرت عينيه و يديه ، فامتلئ قلبي بالسعادة ، سألت أحمد : ألستَ سعيداً ؟

قال : ربما لم يكن إنساناً ربما كان مَلكاً .. لا أدري ! ، فكرت ربما !

أضاف أحمد : و ربما كان مبعوثاً من قِبَل رسول الله (ص) .

قلت: أشعر أنني قريب من الله جداً . ثم تذكرتُ علاقتي به – الله - فشعرت بالخجل و سألت أحمد : أتعرف كيف نصلي بشكل جيد؟

أبتسم لي و قال : بما أنه لا يوجد ماء فلنتيمم .

كانت الصلاة مختلفة هذه المرة فقد كنا نشعر أن الله يسمعنا و يحتضن ضعفنا .

أوشكت الشمس على المغيب ولم ينقطع حديثنا حول الرجل الغريب ، نسينا كل شي الظلمة ، الوحدة ، الوحشة ، و الحيوانات المفترسة ، الجوع و العطش ، و حتى القرية و أهلها .. كنا نفكر فيه و في ما سيحدث حين يعود .

فجأة شاهدتُ خيالاً خلف أحمد ، تسمّرت .. تكاثر العدد و اتضح المشهد .. الذئـاب !

سألته مرعوباً : ماذا نفعل ؟؟

أجاب : إهدأ ..

لم يعد بإمكاني أن أتصنّع الشجاعة ، كنت أريد الهروب فقط صرخت : فلنركض ، سيصلون إلينا ..

لكن أحمد أجلسني منفعلاً : أنسيتَ ما قاله الرجل ؟؟ دفعته عني : دعني أذهب، سيلتهموننا .

أمسكني بقوة : أيّها المجنون إلى أين تذهب ؟ أنظر حولك !

كانت الذئاب تحيط بنا بزمجرتها المرعبة وتحدق إلينا بعيون مخيفة تلمع في الظلام ! بدأت أرتجف ، تحولت غصتي إلى بكاء شديد ، إلتصقت بذراع أحمد ، كنت أفكر يا ليت الذئاب تلتهمني بعد أن أختنق حتى لا اشعر بالألم و كان أحمد يرتجف بصمت .

و هجم ذئب ، دفنت وجهي في ساعد أحمد : لاااا لاااا ، غير أنّ شيئاً لم يحدث !!

سمعت أحمد يقول بصوت متهدّج : أنــ ـنـ ـنظر !

كان المشهد لا يُصدّق ، كانت الذئاب تهجم لكنها لم تكن تتعدى خط الدائرة و كأنها ترتطم بجاحز غير مرئي !

هتف أحمد : أرأيت ، أرأيت ؟!

جلسنا.. ما أعجب هذه القصة ! أن تكون على بُعد خطوة من الذئاب لكن .....!

قال : هذه معجزة أخرى ، ليس لدي الآن أنى شك في أن هذا الرجل من عالَم آخر .

نظرت إلى السماء و قلت : حينما أتذكر أن الله قريب جداً أشعر بالسكينة .

علّق أحمد : لو كنا نستشعر قربه دائما لما أذنب أحد .

انقبض قلبي : أتعلم ، لم أصلي إلى الآن صلاة تامة ، لم أكن أبداً مع الله لكنه ساعدني و لم يتخل عني في لحظات الشدة .

سألني : أتريد الصلاة ؟

كان ذلك أجمل شيء قاله حينها ، الطمأنينة في الصحراء و تحت السماء .. شعرت بقرب عجيب من الله ..

أنهينا الصلاة و نمنا في سلام .

شعرت بدغدغة في قدمي ، تمتمت بين اليقضة و المنام : أمّاه لا تفعلي ، لا زلت أريد النوم . كنت أحلم أن أمي وضعت إناءً كبيراً على صدري ، ثقلت أنفاسي ، حاولت أن أجد بعض الهواء بينما كان الضغط يزداد !

فزعت من نومي لأجد أحمد مستلقياً على صدري و قبل أن اتساءل قال : هيس .. أبقى هادئاً ..هناك عقرب على قدمك !

لقد كانت قدمي خارج الدائرة إلا أن أحمد إستطاع التخلص منها ، بعدها قال : تذكر أنه يجب أن نبقى داخل الدائرة حتى عودة المولى ..

تساءلت : المولى ؟! ..

ضحك : إسم يليق بمن أنقذنا من كل هذه المصاعب ، أليس كذلك ؟

إرتفعت الشمس و أصبحت أشعتها مستقيمة و قاسية ، لكننا لم نكن نشعر بحرارتها .. لا وجع لا عطش و لا جوع !

مع مرور الوقت بدأ القلق يسري ، ماذا لو لم يجيء ثانيةً ؟ ماذا لو نَسِيَنا ؟ أنتوسل ثانيةً ليعود ؟؟

لم أُطق الصبر أكثر سألت أحمد : ماذا لو لم يأتي ؟

قال مهموماً : الأسوء أن لا نراه ثانية ..

فجأة إرتفع غبار من تلك الجهة ، كان قادماً بسكينته الخاصة ، شعرت بقلبي يكاد يخرج من صدري ، و كانت رجلاي ترتعشان و لم يكن أحمد في حالٍ أفضل منّي ..

ترجل على بعد بضعة أقدام فهرعنا إليه ، أماط لماثه ليشرق وجهه النوري ، إبتسم و هو يرد السلام ، جثا أحمد محاولاً أن يقبّل يده لكن الرجل رفعه و مسح على رأسه .

قلت و قد ملأ عبقه رئتي : لقد اشتقنا إليك كثيراً .

قال : " أعلم .. و إن صلاتكم بتلك الكيفية تدل على الوله الذي ملأ قلوبكم إلى الله ، و الآن إنني أريد الصلاة " بسط الرجل الآخر سجادة صلاة مخملية خضراء تتلألأ بشكل منقطع النظير ، بدأ بالاذان و شعرنا و كأنه يدعونا للصلاة ...

تساءلت : هل يعني هذا أنه يريدنا أن نصلي معه ؟

قال أحمد : سواء أكان هذا مراده أو لا فإنني سأصلي خلفه .

أشرت إلى أيديهم المرخاة : إنهم شيعة !

مكث أحمد مدة ثم هز كتفيه و وقف للصلاة خلف المولى ، إلتحقت بهم ، رائحة عذبة ملئت الأجواء فأغمضت عيني و أنصتُ لكل كلمة كان يقولها ، كانت أجمل صلاة في حياتي و أكثرها إخلاصاً .

جلسنا بين يديه ، قال مبتسماً : "حسناً أيها الرجال المؤمنون ، كيف قضيتم ليلة البارحة ؟ "

أجبت : كانت ليلة رائعة ، الدائرة معجزة !

أضاف أحمد : لم نشعر بالجوع أو العطش ، فقط الشوق إليك كان يؤذينا ، و لكنا كنا على ثقة بأنك ترعانا ..

قلت : إن هذه المعاجز لا يمكن أن يأتي بها إلا الأنبياء .

لبث مدة ثم ابتسم و قال : " إنكم تعلمون أن النبوة خُتمت بمحمد (ص) ، إن الشخص الذي تدعونه –المولى- ليس نبياً بل إبن نبي "

وكزت أحمد هامساً : إنه يعلم إننا ندعوه المولى !

سأل أحمد : بأي نبي يتصل نسبك ؟

إبتسم : " يتصل بسيدي رسول الله محمد المصطفى صلى الله عليه دائماً و أبداً "

سألته : من يكون أباك ؟

قال : " الحسن بن علي "

قال أحمد متعجباً : إمام الشيعة !

و أضاف و هو يحدق إليه مدهوشاً : و لكن الشيعة تدّعي أن ابن الحسن بن علي غائب عن الأبصار !

ضحك الشاب و قال :" أهكذا يبدو لكما الأمر ؟ هل أنا غائب عن أنظاركما ؟ "

تساقطت دموع أحمد و قال : إن أبي لا يصدق إدعاءات الشيعة ، ثمّ بكى بصوت مرتفع و ضرب فخذه بقبضته قائلاً : أبي أين أنت الآن لتجدني ماثلاً بين يدي من لا تعتقد بوجوده ؟!

وضع الرجل يداً أبوية على كتف أحمد و قال بحنان : " إن لم يراودك الشك بما تراه فإن أباك أيضاً سيؤمن به "

قال أحمد باكياً : و كيف أشك يا مولاي بما أراه ؟ إنني قد أشك بوجودي لكن لا يمكنني ان أشك في وجودك.

أضفتُ باكياً : و حتى لو شك أحمد فإني لا أشك ، و انحنيت مقبلاً يده ، مسح على رأسي بيد فيها من الحنان ما لم أجده حتى لدى والديّ !

قال :" إنني ذاهب و لكن اطمئنوا ستنجَون بعد ساعة "

سألته باكياً : هل سنلتقي بك مرة أخرى ؟؟ أنهار أحمد على قدميه : خذنا معك ..

مسح على رأس أحمد و هو يقول : " سنلتقي حين تكونون عشّاقاً ، إن أحمد سيأتي عاجلاً و محمود فيما بعد "

نهض بلطف ، تأوهت : سيدي !

كان أحمد يقف مبهوتاً حين رفع الرجل يده مودعاً ، ركضت خلفه صارخاً : لا تنسانا ..

و أختفى عند آخر تل !

(3)

(إنكم أموات عادوا إلى الحياة) هكذا قال الرجل العجوز الذي عثر علينا و ترك عمله ليصطحبنا إلى القرية علّه يكسب بعض المال كمكافأة .

كان فراق ذلك المكان صعباً و مرّاً و حينما حرّك أحمد خط الدائرة باصبعه شعرت بوجع طاغ يسحق قلبي ، إنحنيت و قبلت الأثر مودعاً و انطلقت خلف العجوز ..

(4)

ناولت أمي عصير الرمان لوالدي الذي كان يقلب يديه و يتأوه ، قالت أمي : لقد فقد إبني عقله لفرط حرارة الشمس !

قال أبي : إن هذا ما حدث لسليم الذي أثّرت حرارة الشمس في قواه العقلية فأصبح يتحدث بما لا يعي !

أدنى الكأس من فمي : إشرب يا ولدي إنك تهذي لأنك تعرضت لأشعتها بشكل مستقيم .

أغلق الحكيم كتابه ، حرّك حاجبيه قائلاً و هو يفتح عيني : إن هذا الأمر طبيعي في هذا السن ، كل من هو في سن المراهقة يحاول جلب الأنظار فيقوم بتأليف القصص و توهم الأمور و ربما أدعى السذاجة حتى يستجدي العطف ، أعد ما الذي أكلته في الصحراء ؟

أجبت : الحنظل ..

لم يمهلني الحكيم حتى أكمل واصفاً لذته و حلاوته ، بل قال : و هذا أسوء ! ألا تعرف كيف يزيل سم الحنظل العقل ؟

لطمت أمي وجهها : فداك أمك كم عانيت !

قلت : على العكس تماماً ، لقد كان في ذلك الحنظل خاصية عجيبة فلم نعطش و لم نجع و كان .....

قطع والدي كلامي : لا أريد أن أسمع الخزعبلات ، و أدار رأسه إلى الحكيم : أدرك إبني يا حكيم !

أخرج الحكيم كيساً صغيراً من جيبه و قدمه لأبي قائلاً : إن هذا الدواء سيء الطعم و الرائحة و لكنه رائع ، سيزيل كل أثر لسم الحنظل و سيقضي على هذيان الجنون .

أردت الاعتراض بأنني لست مجنوناً و أن جميع ما قلته كان واقعياً لكنني خشيت أن تتضاعف جرعة الدواء فلزمت الصمت .

إلا أن تصرف أبي كان عجيباً بعد ذهاب الحكيم ! فقد أحنى رأسه باتجاهي والغضب يشتعل في عينيه ، خاطبني بقسوة : إنني أُفضّل أن تكون قد مت على أن يقول الناس إن إبني قد جن ! إذن فالأفضل أن تقلع عن خزعبلاتك هذه و لا تتحدث بها ثانية !

أردت أن أعترض لكن أبي رفع رأسه : إسكت ! حتى لو افترضنا أن ما تقوله قد حدث فإنني لا أريد أن أسمع أي شيء حول هذا الموضوع ، لا أريد لأحد أن يظن أنك تخلّيت عن مذهبنا ، أقسمُ بالله إن تحدثت ثانية عن المولى هذا فسآخذك إلى تلك الصحراء و ألقيك على نار تلك الرمال واسحبك حتى تحترق كلياً ، و إن وجدتك تتحدث ثانية إلى أحمد فسأنال منك .. أفهمت ؟؟

وَقعُ صراخه كان شديداً و أنفاسه التي كانت ترتد على وجهي كانت ملتهبة أجبرني ذلك على أن أهز رأسي بالايجاب مستسلماً ، أدرت وجهي إلى أمي مستغيثاً لكن نظراتها الغاضبة لم تكن بأقل من نظرات أبي حدة !

و لكن هل حقاً كان بإمكاني أن لا ألتقي بأحمد ؟! و لا أستخبر حاله ؟ خاصةً أن همز الجيران و لمزهم بأن أحمد و محمود قد جنّا و أن حالة أحمد ميؤوس منها كان قد كثُر مسبباً لي العناء و الضجر إلى درجة أن الشك بدأ يساورني ..

هل من الممكن أن يكون ما رأيناه وهماً ؟ و أن ما وقع لم يكن إلا حلماً في غيبوبة دخلناها تحت تأثير ضربات الشمس الملتهبة ؟؟!

كنت على يقين أن إلاجابة التامة عند أحمد لذا إنتهزت غياب أبي ذات يوم و ذهبت إليه ، وجدته على خلاف توقعي سعيداً فرحاً كما لم يكن من قبل ، إحتضنني بشوق مضاعف قائلاً : هل آذوك ؟

أجبته : لقد عاملوني بقسوة ! إنني لا أتجرأ حتى على الخروج من المنزل ،لا أكاد أخرج حتى تتردد كلمة مجنون مجنون فأرجع العودة سريعاً ، و من جهة أخرى أجبرني أبي ألاّ أتحدث مع أي شخص عن ما حدث ، و الأهم ألاّ ألتقي بك .. أحمد ! لقد بدأت أشك في أن كل ما حدث كان وهماً !

أمسك بكتفي وهو يقول : ليس من الصواب الحديث هنا ، لنذهب إلى البستان ..

جلس ساكتاً لكن بابتسامة على شفتيه ، سألته : هل عاينكَ الحكيم ؟

هزّ رأسه ضاحكاً : و أي حكيم ! كان يريد إجباري على تناول دواءه لأنني كنت معك و تناولنا الحنظل ، لكن والدي منعه قائلا له لا أعلم ما الذي شاهده ولدي او سمعه و لكنه الآن يبدو في حال أفضل من السابق !

سألته : ألم تخبر أباك بما حدث ؟

أجاب : و هل أستطيع ! لقد أخبرته بكل شيء غير أنه أوصاني أن لا أحدّث الآخرين به لأن ذلك قد يعرّضني للخطر .. إنك لا تستطيع تصور حالته ، لقد هرع إلى كتبه و بقي معتكفاً عليها حتى المساء ، ليخبرني بكل سعادة أنه تمكن من معرفة هوية المولى !

شعرت بحرارة تنبعث داخلي ، تمكنت من إبتلاع ريقي بصعوبة : لقد جئتُ إليك لأطمئن أن ما شاهدته كان وهماً و أنت تبشرني بمعرفة الهوية الحقيقية للمولى ؟

قال أحمد : إذاً لقد آذوك كثيراً ! و إلا ما حدث لم يكن ليُنسى و ليس قابلاً لأن نقع في الشك بهذه السهولة ! أولا تذكر تلك الطلعة البهية و تلك الرائحة العبقة ، أتستطيع حقاً أن تنسى كل ذلك ؟

قلت : و هل أستطيع النسيان ؟ حدثني عما عثر عليه أبوك ؟

كان وجه أحمد متهللاً و عيناه تلمعان قال منفعلاً: إن ما قاله أبي يطابق كلام المولى و صفات إمام الشيعة الغائب ابن الحسن العسكري ، إن له عدة اسماء .. محمد .. عبدالله .. مهدي ، أتذكر حين قال أنه ابن الحسن ابن علي ؟ أتذكر معاجزه ؟ إن أبي يقول إنّ هذا الشخص ليس عادياً إنه غير مقيد بمكان أو زمان.

قلت: ولكنّا لسنا شيعة فلماذا أغاثنا ؟!

صفق بيديه في انفعال : إن أبي يقول إن ولي الله على الارض هو من يغيث كل مكروب أياً كان إعتقاده و مذهبه.. آه لو كنت تدرك حالي ! إنني أتمزق شوقاً ، أتمنى لو كان بإمكاني الرحيل بعيداً لأبكي و أناديه حتى يأتي إليّ و حينها سأتعلق به و أذهب معه حيث يذهب ، سأصحبه إلى الأبد تماماً كالرجل الذي كان معه ، أتذكر كيف كان ينظر إلى المولى بوله ؟..سأذهب ..نعم أنا ذاهب ، حتى أبي قد آمن بوجوده و هو يقول لي إنك لن تطيق الصبر و ستلتحق به !

أرعبني شوقه هذا ، تسائلت : أحقاً تريد الذهاب ؟ ماذا عن عائلتك ، ماذا لو تهت هذه المرة حقاً ولم يغثك المولى ، ما أنت فاعلٌ حينها ؟

بدى الأسى جليا في عينه هو يحدق إليّ مبتسما ، تقدم ليضع يده على كتفي: صدق المولى مرة أخرى ! أحمد عاجلا .. محمود فيما بعد ! لا يا محمود أنا ليس لدي أدنى شك ، إنني على يقين أنه سيدركني لو ناديته بصدق .

أحتضنني بشكل مفاجئ و بقوة وهو يقول : سأشتاق إليك ، أنت الشخص الذي يشاركني هذا السر المقدس ، لذلك انت الأعز على قلبي ، في أمان الله.

كنت أريد الذهاب معه لكن تأنيب أبي القاسي منعني ، كان ألم فراقه موجعا إلا أن تصور أنني لن ألتقي به ثانية سحق روحي ، و لم أكن أعلم لماذا كنت على يقين أن ذهابه سيجعل بلوغي للمولى خيالاً محضاً !

(5)

مرت السنوات ، أصبحتُ شاباً يافعاً محمّلاً بواجبات الحياة ، لذا حين أصبح لدي شيء من المال أضفت إليه ما كان والدي قد إدّخره لي و قمت بشراء بعض الدواب لأؤجرها للزوار و المسافرين الذين يقصدون الكاظمية و سامراء و كنت في بعض الأحيان أضطر للسفر معهم ، إلا أن بعض التجار كانوا يتصرفون و كأنهم استأجروني أيضاً ! يعاملوني كعبد لهم يأمرونه و ينهونه و كان هذا يغيظني جداً.

ذات مرة استأجر الدواب بعض التجار و كادوا أن يُهلكوا الجمال بثقل بضاعتهم وعدم مبالاتهم ، ثم إنهم بخسوني حقي وذهبوا فجلست بجانب دوابي المنهكة أجفف عرقي حانقاً ، في تلك الأثناء إقترب مني رجل يرتدي الأبيض ، كان طويل القامة نحيفاً ، سألني في ابتسامة مريحة : أأنت محمود الفارسي ؟ يقال أنك تؤجر الدواب .

قلت : نعم أنا محمود الفارسي و لكنّي لم أعد أؤجر دوابي ، لقد أنهكتني أخلاقيات المسافرين فلتقصد غيري.

قال بلطف : و لكن ليس سوى محمود الفارسي من بإمكانه أن يأخذنا إلى سامراء في أقصر وقت .

إزداد ألمي و قلت : نعم ، أن أقوم بذلك و لكن يُبخس حقي !

كان مبسمه مشعاً حين قائلا : إن تصرفات الأشخاص تتفاوت ، في الواقع نحن بضعة أفراد من الشيعة نريد أن نصل إلى سامراء بسرعة ، سندفع الأجرة مقدماً و بأي سعر تحدده، والآن إسدي إليّ معروفا و لا ترد طلبي .

إستطاعت نبرة صوته الأخوية أن تهدأني قلت : إن الدواب الآن منهكة وعطشى سأسوقها إلى العين غداً تعال هناك و سأخبرك إن كنت سأجيء أم لا .

قال : جزاك الله خيراً ، و مضى ..

كان من أشق الأعمال سقاية الدواب ، خاصة الجمال فقد كانت عنيدة و صعبة ، أنهكني أحدهم و هو يلوي رقبته و يرمح حتى بدأت اشتُم ، سمعت صوتاً من خلفي : لماذا تشتم خلق الله ؟

كان رجل الأمس و معه صاحبه بعمامة خضراء و قامة أقصر.. ساعدني الأثنان كثيراً حتى أن أحدهم دخل إلى الماء إلى منتصفه ، شعرت بالأمتنان الكبير إذ لم أكن قد إلتقيت من قبل بمن لديه هذا الخلق الرفيع ، كان أحدهم يُدعى جعفر بن خالد و الآخر محمد بن ياسر ، قال لي : إن لم نساعد أخانا المسلم فأي مسلمون نحن ؟!

إتفقنا على أن يكون ميعاد السفر بعد يومين فقام بإعطائي الأجرة مقدماً كما قال رغم رفضي ، كنت سعيداً جداً بصحبتهم و لم أكن أعلم ما السبب في ذلك ، لكن بالتاكيد لم يكن سروري من اجل المال ، بل لإيمانهم الصادق المتجلي في كل أفعالهم وأقوالهم أنا الذي كان إيماني محصوراً في الصلاة و الصيام فقط.

كانوا أربعة عشر شخصاً خلفي و كانت السماحة و المودة تغطي قسمات وجههم حتى إنني كنت اشعر بالخجل كلما أدرت وجهي للخلف لتطالعني إبتساماتهم الأخوية .

توقفنا عند أحد الواحات و قبل أن ابدأ في إناخة الجمال كانوا قد قاموا بذلك رغم أن ذلك كان واجبي أنا !

أقاموا الصلاة جماعة فيما كانت صلاتي فرادا ، و كعادتي وقت الغداء جلست على انفراد و فتحت زادي من الخبز و التمر إلا أنني وجدتهم يحدقون إلي و قال اكبرهم سناً : و لم تأكل منفرداً ؟ بالله عليك أن تشاركنا . فحملت طعامي و التحقت بهم على استحياء .

بعد فترة من الراحة استأنفنا المسير و أنا أتمنى أن لا تنتهي هذه الرحلة حتى لا تغيب عن عيناي هذه الوجوه الطيبة .

مع مضي الأيام ازداد تعلقي بهم بشكل كبير خاصة بعد مشاهدة حالهم في صلاة الليل و أدعية السحر ، كان من المزعج جداً أنه لم يكن بإمكاني مشاركتهم في هذه العبادات لذا جفاني النوم في الليلة الأخيرة محاطاً بالحزن و الكدر و كنت أفكر إنّ ما أثر فيّ هو إيمان هؤلاء الشيعة ، فأين أنا منهم ؟ إنني قد عاشرت أفراداً كثيرة و لكنني لم أجد من أحدهم هذه المعاملة حتى من أبناء مذهبي أهل السنة !

لمع شهاب في السماء ، شعرت أن هناك ذكرى ضابية تمر بخاطري ، حاولت التركيز فغرقت في النوم .

كنت في الجنة أقف تحت أشجار كبيرة محملة بأنواع الفاكهة ، كانت جذورها في الهواء و فروعها دانية و حولها أربعة أنهار من اللبن و العسل و الماء و الشراب مددت يدي لأقطف فاكهة مّا فتطاولت بعيداً عني و أردتُ أن أشرب من النهر فغار في الارض !

سألت جماعة كانت هناك : لما يحدث هذا لي ؟ فأجابوني : لأنك لم تلتحق بعد !

فجأة شاهدت بضعة أفراد يرتدون الأبيض و سرت همهمة إن فاطمة بنت رسول الله (ص) قادمة .

حين أقبلت كانت تحيطها الملائكة التي كان عددها يزداد فلمّا اقتربت لمحت شاباً بجانبها ، بدا لي مألوفا حين نظر إلي و ابتسم في حنو، بدا خاله الأسود فتداعت الأحداث في ذاكرتي، الصحراء و العطش ! بدأت أرتجف و سمعت الهمهمة : إنه محمد بن الحسن القائم من آل محمد (ص) .

نهض الجميع للسلام على السيدة فاطمة (س) ، أنا ايضاً نهضت قائلاً : السلام عليك يا بنت رسول الله ، أجابت : " و عليك السلام يا محمود ، أأنت من أغاثك إبني ؟ "

قلت:بلى إنه منقذي .

قالت : " ألا تريد أن تدخل في حزب ولايته ؟ "

قلت : إنها لأمنيتي ..

إبتسمت قائلة :" إبشر بتحققها "

هرعت إليها أطلب العفو لعمرٍ إنقضى دون معرفتها إلا أنني استيقظت من النوم فقد كان جعفر يناديني و يدلك أكتافي ، قلت منفعلاً: لقد التقيت بإمامكم ابن رسول الله !

قال: إهدء و حدثني عن تفاصيل الحلم.

ناولني قدحاً من الماء ، شربته وبدأت أحكي لهم منذ البدايات و سر الصحراء و العطش ، فلما إنتهت إحتضنني أحدهم قائلاً: إنك تحمل رائحة الجنة ، تعال معنا غداً إلى حرم الإمام الكاظم (ع) لتلتقي بعالمنا الشيخ ، كنت أعلم أنك رجل خاص منذ التقيت بك ! وبدأنا نبكي سوياً ..

حين ذهبنا إلى حرم الإمام الكاظم (ع) كنت ألهج بشكر الله على هدايتي ، هرع إلينا خَدَمَةُ الحرم ليخبرونا أن الشيخ يترقب مجيئنا بلهفة و أنه يريد محمود الذي سيلتحق بخدمة الإمام الحجة (عج).

حينما سمع أصحابي هذا لطموا وجوههم وأجهشوا بالبكاء فيما كنت أقف مدهوشاً !

أمسك جعفر بكتفي قائلاً : تعال يا أخي ، يا لسعادتك إذ يحبك الله و أولياؤه ، إشفع لنا يا محمود .

حين سمعت وقع أقدام الشيخ كنت جالساً خائر القوى لا أكاد أستطيع الحركة ! أنهضني و أحتضنني بقوة و أخوة و كأنني أعرفه منذ زمن بعيد، كل شيء فيه كان يبدو مألوفاً ، الحاجبين ..الشفاه.. ملامحه تملئ ذاكرتي بأحد الوجوه و لكن من ؟!

قلت : يا شيخ إن لديّ رؤيا....

قاطعني : أعرف ، أعرف رؤياك ، أعرف إسمك و أعرف ما جرى لك .. زارتني سيدة نساء العالمين في المنام ليلة البارحة و قالت أن رفيق الصحراء و العطش قادم ليلتحق هو الآخر بخدمة إبني كما وعد.. فهل عرفتني ؟

كدتُ أن أصرخ فرحاً أمسكت بوجهه بين يدي حدقت في عينيه : أحمد ؟ صديقي ؟ أنت إذن الشيخ الذي سمعت عنه كثيراً ؟

قال : لقد تشيعت منذ سنوات و قد التقيت بالمولى و عاتبته بأنّ متى يأتي صديقي ؟ و الحمد لله أنت الآن هنا .

قبلت جبينه دون أن أقوى على الحديث .. فقط كنت أشكر الله لهدايتي إلى طريق الحق.

(6)

مضت مدة و محمود الفارسي في صمته يحدق بي ، أنتبهت و أن أتذكر قصتي الرابعة عشر ، قلت : أليس من العجيب أن تكون القصة الرابعة عشر مرتبطة بسيدي صاحب الزمان (عج) ؟!

أمسك بيدي بكلتا يديه و نظر في عيني قائلاً بصوتٍ عميق : لا ليس عجيباً إن أنت صدّقت حضور ذلك الغائب ، فإن كل معجزة ستكون ممكنة الحدوث.

إنحنيت لأقبل يده لكنه منعني من ذلك بأن رفع رأسي و قبل ناصيتي .

كنت أفكر في قصتي الأخيرة لذا شعرت أن يديّ تشتعلان لفرط الإنفعال ، لم يعد في الوقت كفاية لذا أستأذنت للإنصراف ، إبتسم محمود قائلاً : أطلق على القصة عنوان " العاشق الذي جاء فيما بعد "

قلت: يا لتوارد الأفكار !

قال : لا عجب ، كلانا في ركب المولى .